٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها، واشتغل في فنون، فأخذ الفقه وأصوله والعربية عن الشمس البرماوي، وعن الجلال البلقيني، والولي العراقي، والعزّ بن جماعة، والمنطق والجدل والمعاني والبيان والعروض عن البدر الأقصرائي. ولازم البساطي في التفسير وأصول الدين وغيرهما، والعلاء بن البخاري. وقرأ على غير هؤلاء. وأخذ علوم الحديث عن الوليّ العراقي، والحافظ ابن حَجَر. ومهر وتقدّم على غالب أقرانه، وتفنن في العلوم العقلية والنقلية، وتصدى للتصنيف والتدريس، فشرح جمع الجوامع، والورقات، والمنهاج الفرعي، والبردة شروحاً متقنة مختصرة. وعمل لنفسه منسكاً وتفسيراً لم يكمل. ورغب الأئمة في تحصيل تصانيفه وقراءتها وإقرائها. وقرأ عليه من لا يُحصى كثرةً. وارتحل الفضلاء للأخذ عنه. وهو حادّ المزاج لا سيما في الحرّ، وإذا ظهر له الصواب على يَدِ من كان رجع إليه. وقد ولي التدريس بمواضع، وكان مفرط الذكاء صحيح الذهن لا يقبل ذهنه الغلط، قويّ المباحثة معظماً عند الخاصة والعامة مشهور الذكر بعيد الصيت مقصوداً بالفتاوى من الأماكن البعيدة. قال السخاوي: وترجمته تحتمل كراريس. وقد حجَّ مراراً، (ومات) بعد أن تعلّل بالإسهال في يوم السبت مستهل سنة ٨٦٤ أربع وستين وثمانمائة، وتأسّف الناس على فقده ولم يخلف بعده في مجموعه مثله.

(٤٠٦)

(مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد بن أحمد ابن جَار اللَّه مُشحم الصّعدي الأصل الصنعاني المولد والمنشأ)

ولد سنة ١١٨٦ ستٍّ وثمانين ومائة وألف، وقرأ الفقه على السيد العلَّامة الحُسين بن يَحْيَى الديلمي، والفقيه العلَّامة سعيد بن إسماعيل الرشيدي، وشيخنا العلَّامة أحمد بن مُحمَّد الحرازي، وقرأ في سائر العلوم على عمّه العلَّامة عبد اللَّه بن مُحمَّد مُشحم، والسيد العلَّامة عليّ بن عبد اللَّه الجَلال، والسيد العلَّامة إبراهيم بن عبد القادر، وشيخنا العلَّامة عبد اللَّه بن إسماعيل النهمي. وقرأ عليّ في الفرائض، وشرح الرضي للكافية، ومغني اللبيب، وفي الترمذي وسنن أبي داود، وغير ذلك. وبرع في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والفقه والحديث، وشارك في سائر الفنون. وله ذهن قويم وفهم جيد وذكاء متوقد وحسن تصور باهر وقوة إدراك مفرط، بحيث يرتقي بأدنى اشتغال إلى ما لا يرتقي إليه من هو أكثر منه

= الظنون: ١٢٤، ٤٠٧؛ هدية العارفين: ٢/ ٢٠٢؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٤٧؛ معجم المؤلفين: ٨/ ٣١١.

اشتغالاً. وهو ممن لا يُعوِّلُ على التقليد بل يعمل بما يرجحه من الأدلة. وولَّاه مولانا الإمام المنصور باللَّه حفظه اللَّه القضاء الصنعاني بصنعاء من جملة قضاتها، فكان يقضي بين الناس بمكان والده، وأثنى الناس عليه ورغبوا فيه لما هو عليه من الصلابة في الدين وسرعة الفصل للقضايا المشكلة. ولعل توليه للقضاء كان في سنة (١٢١٠). ثم حجّ في سنة (١٢١١)، ثم ولَّاه مولانا الإمام قضاء بلاد ريمة في سنة (١٢١٢)، ثم نقله إلى قضاء الحديدة، وهو الآن هنالك مُستمرٌّ على القضاء، متأسفٌ على فراق صنعاء مُتلهبٌ على ما فاته من الطلب للعلوم على مشايخها. وكان قبل ارتحاله من صنعاء إلى تلك الجهة يكثر الاتصال بيننا ويجري من المباحث العلمية في أنواع العلم أشياء كثيرة. وبيني وبينه مودة أكيدة ومحبة زائدة. وما زالت كتبه تصل من هنالك تارة بمسائل علمية وتارة بمطارحة أدبية؛ ومما كتبه إليَّ من هنالك هذه القصيدة التي هي ذات قافيتين: [من الكامل]

صبٌّ يُؤَرِّقُهُ النسيمُ إذا سَرى ... من نحوِ صَنْعا حاملاً طيبَ الرَّسائلْ
وَيُثير لَوعَتهُ الحمامُ إذا عَلتْ ... في الدوحِ فَرْعَا والزهورُ له غلائلْ
وغَدتْ تُردّدُ في الغصونِ هَديرها ... وتَميدُ سَجْعَا تَدّعي شَجْوَ البلابلْ
أذكيتِ يا ورقَ الغرامِ وأنتِ لم ... تُدنيه قَطْعَا والغرامُ له دلائلْ
طوَّقتِ جيدكِ والخطاب أجدته ... في الكفّ وُضْعَا لم يكنْ عنها بفاصلْ
وَوقفْتِ بين أرايك قَدْ دُبّجتْ ... زهراً وزَرْعَا وارتقصتِ على الخَمائلْ
وجَمعتِ شملكِ بالأَليف مُوافقَا ... جِنْساً ونَوْعَا مُشبِهاً لك في الشمائلْ
لا درَّ دَرُّكَ يا فراقُ قطَعْتَ حَبْلَ ... الوصلِ قَطْعَا ثم بَدّدْتَ الوسَائلْ
وتَركْتَني أَرْعى السُّهى وأذيلُ في ... الخدّين دَمْعَا يُخجل السُّحبَ الهواطلْ
وتذود عن عيني الكَرَى واين ... أين النومُ يَسْعَى في العيونِ وهي هَواملْ
يا لَيتَ شِعْري هَلْ يكونُ لنا مِن ... الأيام رَجْعَا بين هاتيكَ المنازلْ
وأرى الفراقَ مُصفّداً مُتصدّعاً ... بالوَصْلِ صَدْعَا لا تُروِّعُنا النوازلْ
وَزِمام دهري في يديّ أجيلُه ... في كلَّ مَسْعَى لا يني ولا يُخاذلْ
في ذلك الربعِ الممنّعِ ... يا سَقَاهُ اللَّه رَبْعَا في الغدوة والأصائلْ
كم غَازلتني فيه مَنْ تركتْ لها ... العُشاق صَرْعَى لا تجيبُ ولا تُسائلْ
هَيْفا بعامل قَدّها رَفعتْ مَنامَ ... العَينِ رَفْعَا لَيْسَ من عملِ العواملْ
وَلكمْ صَبوتُ وكم هَززتُ من العُلى ... والمَجْدِ جِذْعَا جانياً ثمرَ الفضائلْ
حتَّى أُتيحَ لي النَّوى فَغدوتُ في ... المَقْدورِ أسْعَى عَنْ دياري ثمّ راحلْ

فَتبدَّلتْ غُرر الليالي بالدواهي والليا ـــي حُـلْـنَ جَـزْعَـا مثلَ حالِ الصبّ حائلْ
يا دهرُ عدْ بالوصلِ أَو ناصفتُ حَـظـي مِـنْـكَ شَـرْعَـا عندَ حَاكِمنا الحُلاحلْ
قاضي القُضاة مُحمَّد البَدر الذي دانتْ له الـعَـلْـيـاءُ طَـوْعَـا زِينة الفُضلا الأمائلْ
حَاوِي المعارفِ كلّها ومَحامد الأوصـاف جَـمْـعـا نخبة النُّخبِ الأفاضلْ

فأجبت بقولي: [من الكامل]

قَلبٌ تقلَّب في فُنونٍ من جُنـ ـونِ الـعـشـقِ طَـبْـعَـا في رُبى تلكَ المنازلْ
يَذري دُموعَ عُيونهِ مُحمرَّةً وِتْـراً وشَـفْـعَـا مِنْ هَوى ظبي الخمائلْ
سَلْ عنه هَلْ طابتْ له يا ريمُ را مَـةَ أرضُ صَـنْـعَـا في ضُحاها والأصائلْ
ما العيشُ إلّا في ذُرى الأحبابِ والأتـراب قَـطْـعَـا كَـمْ عـلـى هـذا دَلائـلْ
يا عزّ دينِ اللَّه لا تَجْزعْ لبينٍ شَـتَّ جَـمْـعَـا الصبرُ شيمةُ كلّ فاضلْ
لا تَجزِ عنْ منّ الفراقِ فليسَ ذا ك الـبـعـدُ بِـدْعَـا ما لَازَمَ الأوطانَ كاملْ
صَبْراً على الزمنِ الذي ما زالَ بالمـ ـكـروه يَـسْـعَـى وبِكلّ ما نهواهُ باخلْ
واعلمْ بأنك تحتَ تدبير القضا نَـصْـبـاً ورَفْـعَـا يلقاكَ فيه كلّ عاملْ
ما أنتَ مُضّطهدٌ ولا تحتَ امتنا نٍ لابـن لَـكْـعَـا يا ابن الأكارم والأماثلْ
بلْ نافذ الأقوال تصدعُ إن تَشَا بـالـحـقّ صَـدْعَـا وَتكفّ صَوْلة كلّ صائلْ
وتُخفّفُ الأثقالَ عنْ مُستضعفٍ دَفْـعـاً ونَـفْـعَـا وتحطّ عنه كلّ باطلْ
وتصولُ صولةَ فاتكٍ إن ينتهكْ فـي الـنـاس شَـرْعَـا فَدْمٌ من الأعتامِ جاهِلْ
كَمْ بَيْنَ منْ يَقضي بما قامَ الدليلُ عَـلَـيْـه قَـطْـعَـا وفَتًى على التحقيق عاطلْ
يروي من الرأي المجرّد كل فا قـرةٍ وشَـنْـعَـا مَقصوده قَدْ قال قائلْ
كَمْ بين ذاكَ وبينَ ذا من غايةٍ رَفْـعـاً وَوَضْـعَـا أين العِقالُ من المعَاقلْ
إياكَ يا بدرَ الأفاضل أن تَضِيـ ـقَ بـذاك ذَرْعَـا الصّبرُ من دأب الأفاضلْ
قُلْ لي رعاكَ اللَّه ما وَجْهُ التَّشوّ ق نـحـو صَـنْـعـا تَنظر إلى طَالع ونازلْ
إنْ قلتَ مَربعُ من هَويت ويا رَعا هُ الـلَّـه رَبْـعـا كم فيه من شَخْصٍ مُشاكلْ
فالتبرُ يا مولايَ في أوطانِه كالتّربِ نَـفْـعَـا واسألْ لهذا كلّ عاقلْ
والبدرُ لو لَزمَ السكونَ لكانَ طُو ل الدهـرِ بِـدْعَـا بين الأنام هَلال ناحلْ
والليثُ لَوْلَا سَعْيهُ في كلّ قَفْرٍ مَـاتَ جَـوعـا اسْمَعْ هُديتَ ولا تُجادلْ

وهذا الجواب أكثره لا يعجبني، فإنى كتبته إلى صاحب الترجمة حال تحرير

جواب كتابه بدون تدبر ولا تفكر، بل قال رسوله إنه عازم في تلك الساعة، فكتبته وهو قائم على الباب. والمترجم له عافاه اللَّه مُستمرٌّ على حاله الحسن، صرف اللَّه عنه جميع المحن. ثم إن صاحب الترجمة رغب عن القضاء لأجل ما حصل من الفتن بتهامة، ووصل إلى صنعاء، وأخذ عني في فنون الحديث، ثم مرض مرضاً طويلاً (وانتقل) إلى رحمة اللَّه في شهر رجب سنة ١٢٢٣ ثلاثٍ وعشرين ومائتين وألف.

(٤٠٧)

(مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد بن بَكْر ابن مُحمَّد بن مَرْزُوق بن عبد اللَّه العجيسي التلمساني)[١]

المالكي المعروف بابن مَرْزُوق. ولد في ثالث عشر ربيع الأول سنة ٧٦٦ ستٍّ وستين وسبعمائة، واشتغل ببلاده على جماعة من أهلها، وحجّ وسمع من البهاء الدماميني بالإسكندرية، والنويري بمكة. ودخل القاهرة، وقرأ على البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، وغيرهم. ولازم المحبّ بن هِشَام في العربية. وحجّ مرة أخرى، ولقي جماعة من الأعيان، وأخذ عنه ابن حَجَر وهو أخذ عنه قطعة من شرح البخاري. وأخذ عنه جماعة من علماء القاهرة. وله تصانيف منها (المتجر الربيح والمسعى الرجيح والمرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح) ولم يكمل، و(أنواع الدراري في مكررات البخاري)، و(إظهار المودة في شرح البردة)، واختصره أيضاً في مختصر سمَّاه (الاستيعاب). وشرح التسهيل، والألفية، ومختصر ابن الحاجب، والتهذيب، والجمل للجويني. ومصنفاته كثيرة منظومة ومنثورة. (ومات) بتلمسان في عشية الخميس رابع شهر شعبان سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة.

(٤٠٨)

(مُحمَّدُ بن أحمد بن مُحمَّد بن سَعيد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن عُمَر بن يُوسُف بن عليّ بن إسماعيل البهاء الصاغاني الأصل)[٢]

المكي الحنفي المعروف بابن الضياء. ولد في ليلة تاسع المحرم سنة ٧٨٩ تسعٍ

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٧/ ٥٠؛ كشف الظنون: ١٩٨٤؛ إيضاح المكنون: ١/ ٧؛ هدية العارفين: ٢/ ١٩١؛ معجم المؤلفين: ٨/ ٣١٨؛ الأعلام: ٥/ ٣٣١.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ٣٣٢؛ الضوء اللامع: ٧/ ٨٤.